خطبة جمعة بعنوان

﴿ماذا قدم النبي ﷺ للبشرية؟ "تحرير المرأة"﴾

لفضيلة الشيخ

د/ مطلق الجاسر

حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام، الأتمَّانِ الأكملانِ على المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا محمدٍ، وصلى الله وسلَّم وبارك على أصحابهِ والتابعين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله:-

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الدين العظيم، وبهذا الشريعةِ السمحاء، وأمرنا بطاعتهِ، وبتقواه، ووعدنا علة الطاعة وعلى هذا التقوى سعادة الدنيا والآخرة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

عباد الله:-

إن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أرسله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بخيرِ هديٍ وأفضل شرعٍ وأسمى دين، دينٌ إذا اعتنقه البشر حسُنت أحوالهم، وتبدَّلت ظُلماتُهم إلى نور، وتبدَّل ضلالهم وغيُّهم إلى هُدى، ومن مظاهر ذلك إخواني الكرام على سبيل المثال: (وضع المرأة).

المرأة: لا زالت في تاريخ البشرية محلَ اضطهاد واحتقار عند كثيرٍ من الأُمم والشُعوب، حتى تلك الأُمم التي يعُدونها أُممًا متقدمةً عن بقية الأُمم في عصرِها، كالإغريق مثلًا أو الرومان أو الفُرس، أو غيرهم؛ فإن نظرةً سريعة عبر تاريخِ هذه الحضارات وهذه الأمم يجدُ أن مكانةَ المرأة كانت في الحضيض.

كانت تباعُ وتُشترى، وكانت تورث كما يُرث المتاع، يموت الرجل فيرث ورثتهُ زوجتهُ وأثاثهُ، وكانوا يعدُنها أقل مرتبةً في جميع الشئون، حتى العصر الحديث إخواني الكرام! إلى عصرِ قريب تلك الأُمم التي يعدونها الناس أنها أُممٌ متحضرة لم تكن المرأة في أسمى ولا أفضل حالاتها.

لمَّا بُعثَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حوله من الحضارات كما يعلم الجميع، الحضارة الرومانية في الشمال الغربي، والحضارة الفارسي في الشمال الشرقي والشرق، وفي الجنوب كذلك، والعرب الجاهليون في الجزيرة، وكل هذه الحضارات كانت مُضطهدةً للمرأة، فالعرب مثلًا: كان بعضُهم يئدُ الأنثى، ويكره إذا بُشِّر بالأُنثى كما صوَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنا هذا المشهد في كتابهِ.

فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، والأمثلة على ذلك كثيرة لا نريد الإطالة في ذكرها.

ولم تكن المرأة في بلاد الروم ولا بلاد فارس، ولا حتى عند اليهود والنصارى بأحسن حالًا من ذلك، حتى إن اليهودَ في المدينة كانوا إذا حاضت المرأة طردوها من البيت وضربوا لها خيمةً في الخارج لأنهم يرون أنها أصبحت نجسةً لا يجوزُ أن تُمَس.

لذلك الصحابة لما رأوهم في المدينة سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن فِعل اليهود فأنكره، وبيَّن أن المرأة لم تكن كذلك، بل كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا حاضت عائِشة مثلًا رُبما اضطجع على حجرها ووضع خدَهُ على فخذها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لما جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الرسالة أعاد للمرأة مكانتها، وبيَّن أنها هي والرجُل على حدٍ سواء أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فبيَّن سبحانه: أن الذكر والأنثى، والشعوب والقبائِل كُلُّ أولئك أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سواء، وأن التفاضُل فيما بينهم جميعًا ذكرانًا وإناثًا، شعوبًا وقبائل؛ إنما هو بالتقوى، والتقوى لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، فالرجال والنساء في ذلك على حدٍ سواء.

لذلك أول ما من أسلم على سبيل الإطلاق وآمن بهذا الدين كانت امرأة قبل جميع الرِجال وهي خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأول من أريق دمهُ دفاعًا وفي سبيلِ هذا الدين العظيم كانت امرأة، أول شهيد لهذا الدينِ كانت امرأة لم يكن رجلًا، وهي سُمية بنت خياط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

لما أسلمت وعذبوها وأبتْ أن ترجِع عن هذا الذين الذي رأت فيهِ إكرامًا لها، ورفعةً لشأنِها، وخُروجًا من الضلالِة إلى الهُدى حتى آثرت أن تُقتل في سبيل الله عن أن ترجع عن هذا الدين حتى قتلها أبو جهل وطعنها بحربة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فكان أول نفس تُراق في سبيل هذا الدِين امرأة وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدل على أن النِساء قد عرفنَّ أن هذا الدين هو الوحيد الذي يُعطِيها مكانتها الحقيقية ورفعتها؛ لأنهم كانوا يرون المجتمع الذي هُم فيه، ويرون الآخرين كذلك.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُبصِّرنا في ديننا وأن يُعيننا على إتباعه والدفاعِ عنه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخُطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملانِ على المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا محمد، وعلى آلهِ وصحبِه أجمعين، أما بعد:-

معاشِر المؤمنين:-

لقد استغل أعداءُ هذا الدين إعلامهم وأذيالهم في بلادِ المُسلمين، واستغلوا مع الأسف قلةَ إطلاعِ بعض المُسلمين على دينهم ومعرفتهم بهِ؛ فوضعوا في أفكارِ الناسِ وفي عقولِهم أن الدين يضطهد المرأة، أو أن المرأة في ظِلِّ التحضُّر المُعاصِر في أفضِل مكانة، وفي أعظمِ وضع، وهذا مع الأسف من الإضلال، وإن أدنى وعي يصل إليه المُسلم يعلم به أن هذا الكلام غير صحيح.

هل وضع المرأة الآن في المُجتمعات التي لا تدين بدين الإسلام وضع صحيح؟ انظروا إلى الإحصاءات، رغم انفتاح الفواحِش في دُولِ الغرب، وتيسُرِها، وسُهولة الوصول إليها إلا أنه يتزامن مع ذلك أعدادٌ ضخمة ومُخيفة من الاعتداءاتِ، والاغتصابات والتحرشات.

وإن مُصطلح الأسرة أحادية الأم: أصبح منتشرًا في تلك البلاد، أم هي الأُم وهي الأب، وهي العامل، وهي الخادمة، لأنها لا أب لها، تلد إما من فاحِشة أو من طلاق من زواجٍ قد طُلِّقت منه، ثُم تُترك، ولا مُعيل لها فتكدح ليل نهار في أي وظيفةٍ وفي أي مهنة، إلى آخر تلك الأوضاع...، التي لم يطَّلع عليها بعض

المُسلمين، وبعض فتيات المُسلمين، ويظنون أن الأوضاع في غيرِ دائِرة الإسلام بالنسبةِ للمرأة هي أفضل، كما تُصوَّر في بعضِ وسائِل الإعلام.

وهذا إخواني الكرام! قد يُعذر فيه الإنسان في تصوره قبل مُدة حيث لا يوجد انتشار للمعلومات، ولوسائِل المعرفةِ والوعي، أما اليوم: فلا عُذر للإنسان، بإمكانك أن تطَّلِع بعينك، وتسمع بأذنِك ما يرفع مُستوى الوعي، ويعرف أن المرأة والرجل والإنسان، بشكل عام لن يكون عزيزًا إلا بإتباعِ دينِ الإسلام، ودين محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا الدين الذي يُخرجُ الإنسان من عبادة الإنسان، أو عبادة الهوى، أو عِبادة اللذة، أو عبادة الدُنيا إلى عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا هو الرُقي، أن يخرج الإنسانُ عن مُستوى عبادةِ هواه، ونفسهِ، ولذته، ويوجهه إلى هوى عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سواءٌ كان رجلًا أو امرأة، لذلك لو اتبع البشر دين محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحسُنت أوضاعُهم في جميعِ المجالات.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلنا من أتباعهِ في الدنيا والآخرة، وأن يحشرنا تحت لوائِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحت ظِل عرش ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نحن وأحبابُنا ومن نُحب، وأهلونا وآباؤنا وأمهاتنا.

اللّٰهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللّٰهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا عيبًا إلا سترته، ولا همًا إلا فرجته، ولا حاجةً من حوائِج الدُنيا والآخرة إلا قضيتها ويسرتها يا رب العالمين.

اللّٰهم فرِّج هم المهمومين، ونفث كرب المكروبين، واقضِ الدين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المُسلمين، وارحم موتانا وموتى المُسلمين، اللّٰهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاةَ أمورنا، ووفِّق للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين.

عباد الله!

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].